المحاضرة السادسة

٣- البيئة Environment

يتحقق النمو عند الانسان من خلال علاقة دينامية بين المحددات الداخلية (التكوين العضوي والامكانات الوراثية) والمؤثرات الخارجية (البيئة) أن المحددات البيئة الداخلية لاتتحقق تلقائيا ، وانما تأخذ صورة معينة بفعل المؤثرات في البيئة .
والمؤثرات البيئية يكون بعضها فيزيقي مادي ، أو اجتماعي أو ثقافي . وتعمل هذه المؤثرات مجتمعة على السماح للمحددات الداخلية بان تشق طريقها بهذا الشكل أو ذلك .

ان المحددات الداخلية تدخل في علاقة تفاعلية مع المؤثرات الخارجية منذ اللحظات الاولى لتكون الخلية التي تنشأ عنها الانسان / ويكون رحم الام هو البيئة الاولى التي ينطلق منها الانسان . بعد ولادته الى بيئة اوسع ، الى العالم المادي والى عالم الناس والافكار ويتأثر الجنين في رحم الام بجودة تغذيتها ، وبإدمانها على المخدرات او اقلاعها عنها وبالأمراض التي تعثر بها ، وبالصدمات التي تتلقاها وبوضعها النفسي بشكل عام ويتأثر الجنين حين ولادته بطريقة الولادة (طبيعية ، قيصرية ، بواسطه السحب) وأن البيئة تؤثر في جسم الانسان وفي عقلة وفي سلوكه الانفعالي والاجتماعي ، ولكن أثرها الواضح المعالم يبدو مؤثرا في سلوك الانسان وعاداته وأخلاقه ومعاييره ، فتأثير البيئة على هذه الجوانب يبدو أكثر وضوحا من تأثيرها على التكوين الجسماني . ومع ذلك هنالك دراسات تشير الى :-

أ- امكانية تأثير البيئة في التكوينات الجسمية (فقد أجريت دراسات لإظهار تأثير البيئة على التكوينات الجسمية)

١- تمكن الباحثون في احدى التجارب من تغذية صغار حيوان برمائي بخلاصة الغدة الدرقية ، نمت زعانف واصبحت عاجزة عن السباحة وتحولت الى حيوان بري يسمى (الامبلستوما) لا تذهب الى الماء الا لوضع البيوض

٢- اجريت بعض التجارب على بعض السمك بتخفيض درجة الحرارة وتقليل كمية الاوكسجين او بالأشعة البنفسجية في المكان الذي وضع فيه البيض ، فقد ظهر سمك مشوه في شكل توائم متصلة في الجسم

٣- من الدراسات التي تبين اثر البيئة على التكوين الجسماني للإنسان دراسات قام بها بوواس اذ قارن مجموعة من الصبيان ولدوا في امريكا لأباء يهودا

هاجروا من شرق اوربا مع مجموعة قرينه لهم من نفس الاصل والمـواطن ولدوا في شرق اوربا ، كما قارن بين مجموعة من الصبيان الصقليين ممن ولدوا في امريكا مع مجموعة قرينة ولد افرادها في صقلية وكان الجميع يعيشون في مدينة نيويورك . و عقدت المقارنة بين مجموعتين من حيث شكل الراس ، وكان المقياس ونسبة عرض الرأس الى طولها او ما يسمى بدليل الجمجمة . وتميز اليهود من شرق اوربا عادة باستدارة الراس اي بنسبة عالية في عرض الراس الى طولها . بينما يتميز الصقليون براس طويلة . وقد بينت المقارنة بين كل مجموعتين ان الحياة في بيئة امريكية قد ادت الى زيادة الطول في جمجمة رأس اليهود ، وزيادة الاستدارة في جمجمة رأس الصقليين الذين ولدوا في امريكا وبالتالي اقترب افراد الفئتين من المستويات الامريكية ، وقد بينت هذه الدراسة انه كلما طالت مدة اقامة الام في امريكا كلما كان التغير في الابناء اكبر

وقد اكدت نتائج هذه الدراسة بدراسات اخرى على مجموعات من اجناس مختلفة من ابناء المهـاجرين الى امريكا

ب – كشفت الابحاث الأنثروبولوجيا والاجتماعية والنفسية عن ان المجتمع البشري يؤثر تأثيرا كبيرا في النواحي الاساسية الثلاث في حياة الانسان الفكرية ، والعاطفية ، والعملية

فمن الناحية الفكرية ان معرفتنا ودیننا ، وفلسفتنا في تعدد اوجهها هي نتاج لتفاعلنا مع مجتمعنا ، ولا يمكن للقدرة العقلية التي يتفرد بها الانسان ، ان تنمو الا في محيط اجتماعي انساني . وقد اثبتت الدراسات والوقائع ضرورة المجتمع البشري لنمونا العقلي وذلك من خلال :-

اولا :- سلوك ما اطلقوا عليهم (الاولاد المتوحشون) الذين نموا منعزلين عن مجتمعهم البشري خلال السنوات الست الاولى من حياتهم فقد جمع علماء الانسان حوالي (٤٠) حالة لهؤلاء الاولاد ، وفي اماكن مختلفة من العالم انفصلوا فيها عن محيطهم الانساني لسبب او لاخر ، وتم لهم البقاء برعاية من بعض الفصائل الحيوانية . فالانسان الغزال والطفل الذئب والولد القرد .. الخ هم عينات من هذه الحالات التي تظهر مدى الاهمية للدور الذي تلعبة البيئة الاجتماعية في تشكيل السلوك البشري ، وتكوين الذكاء

الانسانيوان ايا من هؤلاء الاولاد لم يكون اي شيء يشبة اللغة الادمية ، وانهم جميعا قد اتخذوا بعض اشكال الحركة في تنقلهم مستعيينين بايديهم وارجلهم وركبهم ، وكان اللحم النيء طعام الذين تربوا في محيط حيواني مفنرس واخذ الطعام بالفم مباشرة (كما يفعل الحيوان) ، وقد غابت عن

سلوك اولئك الاولاد انفعالات الضحك او البكاء ، واختفت عن وجوههم تعابير الابتسام او الحـزن ...

ثانيا :- عجزت الطفلتان الهنديتان عن اكتساب العلم او التعلم المناسب رغم مدة السنوات العشرة من التعليم ، وحين بلغت كل منهما سن السابعة عشرة ، بقي عمرها العقلي خمس سنوات ، وقد اجمع علماء الانسان على فكرة ان الانسان الذي ينفصل عن بيئتة الاجتماعية خلال السنوات الست الاولى من حياته ، يفقد القدرة العقلية والذكاء الانساني ، وبالتالي القدرة على اكتساب اللغة التي ليست وسيلة تخاطب فحسب ، بل عملية اثراء للفكر البشري
ثالثاً:- حدث ان ابن أحد اللوردات الانكليزي قتل والدية في افريقيا وضاع الطفل في غابة اسيادها ومجتمعها ، فنشأ الطفل انساناً يتكلم لغة القرود

تفاعل الوراثة والبيئة

تتفاعل العوامل الوراثية المختلفة مع عوامل البيئة عضوية كانت او غذائية او نفسية عقلية او اجتماعية او غير ذلك من الالوان المختلفة للبيئة في تحديد صفات الفرد ، وفي تباين نموه ومسالك حياته ومستوياته نضجه ومدى تكيفه وشذوذه وتختلف صفات الفرد اختلافا بيناً في مدى تأثرها بتلك العوامل المختلفة فالصفات التي لا تكاد تتأثر بالبيئة تسمى الصفات الوراثية الاصيلة واهمها : لون العين ، ولون ونوع الشعر ، ونوع الدم ، وهيئة الوجه ومعالمه ، وشكل الجسم

والصفات التي تعتمد في جوهرها على البيئة ولاتكاد تتأثر بالمورثات تسمى صفات مكتسبة ومن اهمها الخلق والمعايير الاجتماعية والقيم

والصفات التي ترجع في جوهرها الى الوراثة وتتأثر بالبيئة تأثرا يتفاوت في مداه بين الضعف والشدة ، تسمى صفات وراثية بيئية ، او استعدادات فطرية تعتمد على البيئة في نضجها وتتأثر بها في قصورها وعجزها عن بلوغ هذا النضج ، ولعل اهم هذه الصفات هي لون البشرة وذلك لتفاوت تأثير اشعة الشمس في هذا اللون كما يحدث عادة للمصطافين والذكاء ، والمواهب العقلية المختلفة ، وسمات الشخصية ،والقدرة على التحصيل الدراسي ، ويمكن اكتشاف الاثر النسبي لكل من الوراثة والبيئة في نمو الاطفال وذلك بدراسة صفات التوأمين المتماثلين حينما يعيشان في بيئة واحدة وحينما يعيش كل منهما في بيئة مختلفة عن الاخرة . وبما ان التوائم المتماثلة تنتج من بيضة واحدة ، فان صفاتها الوراثية متماثلة فاذا عاش في بيئتين مختلفتين ظهر أثر البيئة في التفرقة بينهما في الصفات التي تتأثر بالبيئة .

جلال ، سعد : المرجع في علم النفس ، ١٩٨٥، ص ٢٠٦-٢٠٨